تحليل نص ديكارت :

كانت حكمتي أن أسعى دوما إلى مغالبة نفسي لا إلى مغالبة الصدفة ، والى تغيير رغباتي عوض تغيير نظام الكون ، وعلى العموم أن أتعود على الاعتقاد بأن لاشيء يكون تماما تحت سيطرتنا سوى أفكارنا ،بحيث أننا إذا بذلنا قصارى جهدنا إزاء الأشياء الخارجة عنا ،فإن كل ما يفوتنا من نجاح يكون في نظرنا ، مستحيلا على الإطلاق .وقد بدا لي ذلك وحده كافيا لكي لا أطلب في المستقبل إلا الأشياء التي أستطيع الحصول عليها ، ولكي أكون بذلك مغتبطا .إذ ما دامت إرادتنا لا تتوق بالطبيعة إلا إلى الأشياء التي يصورها لها الذهن كممكنة إلى حد ما ، فمن المؤكد أننا إذا اعتبرنا كل الخيرات الخارجة عنا متساوية في بعدها عن مقدرتنا ، لن نأسف لحرماننا ، دون ذنب اقترفناه ، من التي تبدو منها عائدة إلى مولدنا ، أكثر مما نأسف لعدم امتلاكنا ممالك الصين و المكسيك ، وعملا كما يقال بفضيلة الضرورة ، لن نرغب في أن نكون في صحة جيدة ونحن مرضى ، أو أن نكون أحرارا ونحن في السجن ، أكثر مما نرغب الآن في أن تكون لنا أجسادا لا تبلى كالماس ، أو أن تكون لنا أجنحة نطير بها كالطيور .غير أني أعترف بأنه لابد من دربة طويلة ومن تأمل متكرر باستمرار لتعويد النفس على النظر من هذه الزاوية لكل الأشياء وأعتقد أنه في ذلك أساسا يكمن سر أولئك الفلاسفة الذين استطاعوا في الماضي أن يتخلصوا من سلطان القدر، وأن ينافسوا رغم الآلام والفقر، آلهتهم في السعادة.ذلك أنهم بسعيهم المتواصل للوقوف على الحدود التي وضعتها لهم الطبيعة، اقتنعوا تمام الاقتناع بأن لاشيء في متناولهم إلا أفكارهم، إلى حد كان ذلك وحده كافيا لمنعهم من التعلق بأي شيء آخر؛ وقد كانوا متملكين لتلك الأفكار تملكا مطلقا إلى حد كانوا معه على حق في اعتبار أنفسهم أكثر غنى ومقدرة وحرية وسعادة من أي بشر سواهم، لم تكن له تلك الفلسفة، فلم يتملك أبدا كل ما يشاء، مهما حبته الطبيعة وأسعفه الحظ.

ديكارت:حديث الطريقة (الجزء الثالث)

حلل هذا النص في شكل مقال فلسفي مستعينا بالأسئلة :

1)بين كيف أن الحكمة الأخلاقية تكمن في مغالبة النفس لا في مغالبة الصدفة، وفي تغيير الرغبات لا في تغيير نظام الكون ؟
2)ماذا يترتب في نظر ديكارت عن الاعتقاد " بأن لاشيء يكون تماما تحت سيطرتنا سوى أفكارنا؟
3) كيف تتحدد-في النص –علاقة الإرادة بالذهن وعلاقة الإرادة بالمقدرة ؟
4)هل تعتبر أن هذه الحكمة الأخلاقية كفيلة بجعل الإنسان يشعر أنه "أكثر غنى ومقدرة وحرية وسعادة " من أي كان ؟

******

فهم النص :

الاطروحة : تحقق السعادة والرضاء عن النفس يكمن في مغالبة النفس اصغاء لصوت العقل و دربة على تعويد النفس على الرضاء التام بالضرورة .

التمهيد : يمكن التمهيد للمقال ب :

www.devoirat.net 2019

- قيمة السعادة مطلبا فلسفيا يجعلها مقصد الجميع وغايتهم وان اختلفوا في تحديد شروطها فكانت المقاربة العقلانية .
- تحولات مفهوم السعادة مع تنوع المجتمعات و تطورها اليوم يجعل من المهم مراجعتها على ضوء تطور فهمنا للانسان.
-

طرح الاشكالية : ما الذي يحقق السعادة ورضاء النفس التام هل في مغالبتها للضرورة توقا لارادة مطلقة تتجاوز حدود الامكان ام في مغالبة النفس ذاتها اصغاء لصوت العقل على الرضاء التام بالضرورة ؟ وهل لا تكون السعادة بموجب هذه الحكمة مجرد وهم نسعى اليه دون تحقيقه ما يحولنا الى بشر خانعين الى عبيد للضرورة ذاتها ؟اليست السعادة بماهي خيرا اسمى توق ابدي الى الحرية ورغبة في عالم افضل ؟

التحليل :

يمكن تحليل النص وفق التمشي التالي :

- تحليل اطروحة الكاتب القائلة بان التزام الحكمة في مغالبة النفس اصغاء لصوت العقل هو ما يحقق السعادة شرط تدريب النفس على الرضاء التام بالضرورة ؟

و ذلك ب :

- الوقوف عند مفهوم " حكمتي " في النص والمقصود منها المذهب الاخلاقي الخاص الذي يدعونا الكاتب الى اتباعه وهو مذهب يقوم على الفهم الديكارتي للإنسان بما هو كائن عاقل وان العقل طبيعة ثابتة فيه (العقل الأعدل قسمة وتوزعا بين الناس) وان نفهم ان المعرفة العقلية التي اعتمدها الفيلسوف انما تعني معرفة حدسية فطرية هي جوهر النفس البشرية (فعرفت اني جوهر كل ماهيته وطبيعته لا تقوم الا على الفكر) فالنفس اذن هي النفس العاقلة العارفة وهي التي يؤسس عليها ديكارت مذهبه الاخلاقي او حكمته في نيل السعادة .

فما هي السعادة ؟ وكيف السبيل الى تحصيلها حسب هذه الحكمة ؟

يحدد ديكارت السعادة في سياق النص بكونها : الغبطة –تحصيل الخيرات- فضيلة الضرورة – وهي ايضا القناعة وغنى النفس والمقدرة والحرية ..وهي معاني كلها ترتد الى دلالة واحدة تعني الرضاء التام للنفس وهو رضاء ينبع من فطرة العقل عندنا غير ان تحصيلها مشروط ب :

- مغالبة النفس لا مغالبة الصدفة .

www.devoirat.net 2019

- تغيير الرغبات الذاتية بدل تغيير نظام الكون .
- الاصغاء لصوت العقل وتحقيق ماهو ممكن .

وهذا كله يحتاج :

◄ دربة طويلة وتأمل متكرر باستمرار لتعويد النفس على النظر من زاوية القبول بالضرورة .

وهو تقريبا الموقف نفسه الذي كان يدعو له ارسطو من دربة على التأمل ومداومة التأمل العقلي على الفضيلة لأن " خطافا واحدا او يوما مشمسا واحدا لا يصنعان الربيع " كما يقول .

غير ان ما يميز الحكمة الديكارتية كون هذا التحصيل وهذه الدربة هي من طبيعة الانسان البشرية لان الناس سواسية في العقل بينما هي عند ارسطو ميزة الفيلسوف الحكيم .

فالأخلاق الديكارتية هي اخلاق كل انسان عاقل يملك بالفطرة عقلا وإرادة يغالب بها نفسه متى دربها على فعل الخير وتحصيل الغبطة اذا ما رام القناعة والتزم فضيلة الضرورة وكان من الحرية والمقدرة ما به يترفع عن الحواس وعن الخيرات المادية والحسية والإشباع الجسماني .لان الاشباع الحقيقي هو الاشباع الروحي الذي يمتثل للضرورة لا للصدفة يقتدر على الفعل الذاتي- الحر بدل مقارعة النجوم في السماء .فهل تكون هذه الحكمة كافية لتحقيق السعادة ؟ و اي سعادة تلك التي يطلبها الانسان ؟ ألا تكون السعادة بالمعنى الذي يطلبه ديكارت مجرد وهم نسعى اليه دون القدرة على تحقيقه ؟ ألا يحولنا الرضاء بالضرورة الى مجرد عبيد للضرورة ؟

النقاش :

المكاسب :

- تثمين الموقف الديكارتي الذي يؤسس فكرة السعادة على العقل والرضاء النفسي و على دربة النفس على مغالبة الاهواء والشهوة والضرورة وهو الموقف الذي يتفق فيه مع ارسطو و روسو وسبينوزا و حتى كانط من جهة التأكيد على الفعل الذاتي (حكمتي او مذهبي عند كانط) الخلقي والدربة الذاتية على الالتزام بحدود الضرورة تحقيقا للفضيلة.
- تحديد السعادة بما هي الغبطة و تحقق الخيرات والقناعة وغنى النفس وهو المعنى الذي يؤسس السعادة في النفس لا في الجسم لان السعادة التي يحدها الالم ليست سعادة حقيقية و لا تكون سعادة حقيقية إلا متى كانت توق النفس الدائم الى الرضاء التام .

www.devoirat.net 2019

الحدود :

- اعتبار ان السعادة لا يمكن ان تكون مطلب الاخلاق بل الدين " مطلب الخيال لا العقل " كما قال كانط لا تتحقق كخير اسمى في الدنيا بل في الاخرة ..وهو ما يستوجب الايمان : بوجود الله وخلود الروح وحرية الارادة اي لا يكفي الانسان فعل الخير بل الايمان الديني .وهذا منة شانه ان يرحل مطلب السعادة الى الحياة الاخرى و يجعلها مجرد امل او حلم " ليست الاخلاق مبدأ يعلمنا ان نكون سعداء بل يعلمنا كيف نكون جديرين بالسعادة " .
- استحالة مطلب السعادة في الدنيا ما دامت تحدها الالام ..فتكويننا النفسي والبيولوجي يجعل السعادة مطلبا مستحيلا حسب فرويد ف" لم يكن في خطة الخلق ان يكون الانسان سعيدا ".

الخاتمة :

استنتاج ان مطلب السعادة مطلب مركب يتداخل فيه الفلسفي- العقلي بالديني بالاخلاقي ما يجعل منه مطلبا راهنا يحتاج دوما الى ضبط رهاناته على ضوء تحولات المجتمع البشري مع تثمين اللحظة الديكارتية -الكانطية في اخراج هذا المبحث من حيز اللاهوت الى الفلسفة من العقل المكوَّن (بفتح الواو) الى العقل المكوِّن(بكسر الواو).

www.devoirat.net 2019